Enlightenment collection's
ISSN 2716-7852
V:12, N°:2, (2022), P.P :56-73

سلسلة الأنوار
ISSN 2716-7852
المجلد:12، العدد:2، (2022)، ص.ص: 56-73

الرياضة بين التوظيف السياسي و إهدار المال العام

Sports events between political use and the waste of public funds

بوجلال أمحمد

جامعة الجيلالي اليابس سيدي بلعباس (الجزائر) mahmed7@hotmail.fr

تاريخ الاستلام : 2022/07/27 ؛ تاريخ القبول : 2022/10/14 ؛ تاريخ النشر : 2022/11/10

الملخص

ساهمت الألعاب الرياضية منذ أقدم العصور في التأكيد على قِيم نبيلة كالتعارف و التسامُح، وقد بلغ من درجة أهميتها راهنا أن الدول و الشعوب، اعتبرتها مجالا لتأكيد الذات و تنمية الشعور الوطني، غير إن تنظِيمها لم يسلم من تدخل العامل السياسي في توظيفها و لو على حساب إهدار المال العام، بحيث أصبحت تُستعمل كوسيلة للخطاب الأيديولوجي، بغرض اكتساب الشرعية السياسي ة،وشراء السلم الاجتماعي، في مقابل إهمال قضايا التنمية الأساسية

بعد رصد هذه الملاحظات نسعى من خلال هذه الإشكالية إلى دراسة كيفية تحول الألعاب الرياضية، إلى وسيلة للتوظيف السياسي و إهدار المال العام

الكلمات المفتاحية: ألعاب رياضية، قيم أخلاقية، مال عام، توظيف سياسي، توظيف إيديولوجي.

Abstract

Since ancient times, sports have contributed to emphasizing noble values such as acquaintance and tolerance, and has reached such a degree of importance now that countries and peoples consider it an area for self-affirmation and the development of the feeling of national identity and the sense of belonging to a community. However, their organization has not escaped the interference of the political intrusion in their employment, even at the expense of wasting public money, so that sports events have become nowadays an instrument used in ideological discourses, aiming to gain political legitimacy, buying social peace, while neglecting the basic development issues.

Key words: sports games, moral values, sportsmanship, political use , ideological use[1]

1-مقدمة

في الغالب الأعم تتفق تعاليم الحكماء و إرشادات الأطباء حول فوائد ممارسة الرياضة، باعتبارها نشاطا يحقق الذات و يقوي الجسم، و إلى عهد قريب لا يكاد يُذكر موضوع الرياضة إلا وحضرت أفكار نبيلة مثل فكرة العقل السليم في الجسم السليم ، و فكرة الروح الرياضية النزيهة، و فكرة التنافس الشريف، علاوة على ما للعروض الرياضية من جمالية و تشويق ومتعة بصرية عند متابعتها، إلا أن هذه الأفكار المُرسخة و غيرها لم تعد بتلك البراءة والقبول، بل أصبحت محط شك و جدال، حيث أكتُشف أن هناك عوامل أخرى منها على ألأخص السياسة و الإيديولوجيا والمال، تتداخل في تخريج النتائج الرياضية – أحيانا مُسبقا- و تُحيدُها عن وجهتها الأصلية، فكيف تمكنت هذه العوامل من استثمار المجال الرياضي وهو مجال يرفع شعار التسامح والتعارف ؟و هل من شواهد تاريخية تؤكد هذا الطرح ؟.

لن يسعى هذا المقال إلى البحث في ذلك التصور الذي يرى أن الرياضة هي نشاط يُمارس فقط، كهواية بريئة تهدف إلى الترويح عن النفس و الاستمتاع بالقدرات الجسدية ،و لكنه يسعى إلى البحث في ذلك التصور الذي يرى أنها لم تعد بتلك البساطة و العفوية التي كان يُنظر إليها قديما أو عند أول وهلة.

ستحاول هذه المداخلة الإجابة عن هذه الإشكالية عبر منهج تحليلي نقدي و عبر الاستشهاد ببعض النماذج التاريخية التي تؤكد ترابط ثالوث السياسة الرياضة المال، لكن قبل المناقشة، جدير بنا أن نفكك مفاهيم رئيسية من حيث تاريخيها و دلالتها و أهميتها و تداعياتها على المستوي النفسي و الاجتماعي .

من أهمية الرياضة أنها أصبحت مجالا علميا مُعقدا له مدارسه و نظرياته، و قد ساهم في تراكم معارفها إلى درجة أنه أصبحت عنوان لتخصصات كثيرة وعلوم عديدة كالطب و بالأخص الطب الرياضي وعلم النفس وعلم الاجتماع وعلوم التربية والإعلام، بعد أن انتقلت من مستوى الممارسة الفردية للتسلية والتمتع بأوقات الفراغ، تحولت إلى موضوع يثير الخصومات و يطرح نقاشات ساخنة و جدالات لا تنتهي، على المستوى الوطني أو على المستوى العالمي، حتى قيل أن الرياضة هي مواصلة الحرب و لكن بوسائل أخرى.

يُدرس موضوع الرياضة ضمن تخصصات العلوم الاجتماعية و الإنسانية من منظورات مختلفة، عبر دراسة العناصر المكونة للظاهرة الرياضية كاللاعب المنفذ للفعل الرياضي و المتفرج و وسائل التنفيذ واللعبة بقوانينها و الجمهور و تداعيات النشاط الرياضي على المستوى الجسدي والنفسي والاجتماعي و السياسي سلبا أو إيجابا.

2-بين الترفيه و الاستغلال السياسي

لقد جمع موضوع الرياضة اكثر من مفارقة و أكثر من تناقض، فهو على الرغم من ظاهره البريء ،إلا انه يتضمن ثقلا اجتماعيا اقتصاديا و ثقافيا و سياسيا و إعلاميا ، فهو من جهة يساهم في تشكيل الهوية القومية وتحقيق الوحدة الوطنية، و ترسيخ قيم التعارف والسلم بين الشعوب، غير أنه من جهة اخر ى يُساهم في إثارة النعرات النرجسية و تكريس الاستلاب إزاء القضايا الاجتماعية أحيانا أخرى، وهو ما يحيل إلى طرح كثيرا من الإشكاليات الفلسفية والأخلاقية أبرزها علاقة الرياضة بالسياسة.

تُعرف الرياضة على أنها جملة من التمارين الفيزيقية بغرض تحقيق المتعة الجسدية و الترفيه ،كما يعرفها معجم لاروس الفرنسي بأنها "تطبيق منهجي لتمارين فيزيقية تسعى، لتطوير ليس الجسم الإنساني فحسب ،و لكن إلى تطوير روحه أيضا ،و تنمية بعض الخصال لديه كالنزاهة والشجاعة و تحدي الصعاب، " (co-auteur, 1965 ,(991)) غير أننا نجد أن هذا التعريف لا يصمد أمام ما يحصل على أرض الواقع ،مما يُبث في وسائل السمعي البصري ووسائط التواصل الاجتماعي من فضائح غير أخلاقية و جدالات مُملة حول النتائج الرياضية المحققة بطرق مشبوهة، ارتكبها لاعبون يعتبرون مثلا أعلى لملايين المتابعين في بلدانهم وعبر العالم ،علاوة على صورة لاعبين كبار تميزوا بمستوى أدائهم الرياضي الرفيع ، ولكن سلوكياتهم شابها ممارسات غير نظيفة كسقوط أشهر لاعب دولي مارادونا تحت تأثير المخدرات، و تحايل ميسي -المثال الأعلى لملايين الشبان و صاحب الكرة الذهبية -لكي لا يدفع ضرائب مسجله في حسابه.

ومن دلائل الاحتيال أيضا في ميدان يُعتبر ميدانا للتنافس الشريف، هو تعاطي المنشطات لزيادة الفعالية الرياضية و تحقيق التفوق على الخصم ، و كذلك المناورة في الكواليس الإدارية لإخراج النتائج الرياضية حسب إرادة رجل السياسة أو التستر على العقود المالية المخالفة للقانون بين المسيرين والمدربين و الرياضيين ،وما من شك أن مشكلة الرشوة في قطاع الرياضة و خاصة في كرة القدم قد أصبحت أشهر من نار على علم ،خاصة على المستوى الدول النامية ،إضافة إلى سوء التسيير و تحقيق نتائج هزيلة رغم استلهام أموال طائلة من الخزينة العمومية، ورغم مجهودات مبذولة لمحاربة تسيب القطاع الرياضي و العمل على تنظيفه من آفات غير إيتيقية éthique

تخلق المباريات و المسابقات الرياضية مسبقا قلقا و هوسا يجعلان الشعوب تنسى مشاكلها ألآنية، لما يثيره النصر الرياضي من فرح و مشاعر الافتخار القومي ،و ذلك ما يجعل الحكومات تتخذ الإجراءات الاحتياطية لتفادي التعقيدات ألأمنية السياسية والاجتماعية ،فهي المدخل الذي يعزز شرعيتها و يمنحها صورة المهتم بمصير البلد والشعب. و لذلك تزايد الاهتمام بالرياضة حتى أصبح ضمن أولويات السياسات الوطنية لكل البلدان المتقدمة والمتخلفة خاصة، كل ذلك وغيره جعل موضوعُ الرياضة موضوع سجال و تجاذب بين فاعلين سياسيين واجتماعيين يتنافسون في احتكار قراراتها و استثمار نجاحاتها و انتصاراتها و توجيه أداءها لتبرير الشرعية ،و ممارسة الشعوبية ،ومن هنا تعتبر إشكالية التوظيف السياسي للنشاط الرياضي من أبرز وأهم الإشكاليات التي اثارت كثيرا من الجدل و النقاش من حيث أسبابها و تداعياتها المستقبلية على أوضاع البلد والمجتمع، و ذلك ما أدى بكثير من الدارسين في تخصصات كثيرة كعلم الاجتماع وعلم النفس وعلم الاقتصاد وفلسفة الأخلاق و السياسة، إلى طرح أسئلة جديدة ،لا يسع المجال إلى مناقشتها جميعا، و لضيق المقام اكتفينا بسؤال مشروعية تداخل السياسة مع الرياضة و مشروعية الإنفاق عليها ببذخ وبتبذير و فائدته العملية على حساب قطاعات اخرى بالقياس إلى ما يحتاجه المجتمع من خدمات، حتى أصبح من الصعب فصل السياسة عن الرياضة و الاكتفاء بالقليل من المال لتسيير قطاع الرياضة.

صحيح أن هناك أطروحة يرى أصحابها أن الرياضة يجب أن تُمارس من أجل الرياضة فقط، و يُدافعون عنها كمثال أعلى يمكن بل يجب السعي إلى تحقيقه ،و لكن هذه الأطروحة لا تثبت

امام أحداث وشواهد من التاريخ الرياضي و كما تؤكده مناسبات رياضية عديدة أين تداخل الفعل الرياضي مع الفعل السياسي بشكل بارز، و ليس خافيا أنه غالبا ما انتقدت بشدة مواقف رياضيين أدلوا بتصريحات حول قضايا سياسية، كما انتقدت أيضا مواقف سياسيين أدلوا بتصريحات حول مسائل رياضية ، و لكن أليس من المسلم به أن الرياضي هو مواطن قبل ان يكون رياضيا ومن حقه أن يكون له رأي سياسي حول قضايا بلده ؟ و في المقابل أليس من حق كل سياسي أن يكون لديه تصوره الخاص حول مسائل رياضة بلده ؟ لقد انتُقدت مواقف الحكومات انطلاقا من أطروحة يرى اصحابها أن الرياضة يوظفها رجل السياسة للتثبت في السلطة و بغرض استلاب وتغييب الوعي عن مواطنين فيما يتعلق بقضاياهم المصيرية حتى سميت كرة القدم بأفيون الشعوب، و استتباعا لإشكالية التوظيف السياسي للرياضة ، يُطرح سؤال آخر وهو هل تشكل الرياضة عامل تقارب و تعارف بين الشعوب أم عامل لتأجيج المواجهة و التوتر بينها ؟ لا يعدم التاريخ من أمثلة حول ذلك، فقد نشبت حرب في 1969 بين بلدين جارين يجمع شعبهما التاريخ و هموم متشابهة ، سُميت بحرب المائة يوم ،فرغم الفقر المدقع الذي يعانيه كلا الشعبين فقد استثمر كلا النظامين السياسيين نتائج الرياضة حول كرة القدم لكي يُشهرا حربا أفضت إلى 3000 قتيل و 15000 جريح و 50000 فقدو منازلهم و أراضيهم إضافة إلى توتر العلاقات بين البلدين و الشعبين لمدة 22 عاما (Rouquié, , 1971, 21 année,pp1290)

عرفت المجتمعات البشرية منذ القدم ممارسة الرياضة كما بينته رسومات جدارية موجودة في معابد الفراعنة بينت أنهم مارسوا كرة اليد والعدو و الملاكمة و سباق الأحصنة و رياضة الجمباز والصيد و السباحة والرماية وقد عرف عن آمنحوتب الثاني– وهو من ملوك الفراعنة – ولعه بممارسة الرياضة، كما مارسوا لعبة الشطرنج ، "لم تكن للألعاب وظيفة دينية خاصة، و لكن كانت جزءاً من شروط العيش المثالي لكبار الموظفين الذين يحضرون المباريات " (Decker, 1993 p,443)

على الرغم من قلة المصادر الأركولوجية فإن الروايات سجلت ظهور الألعاب الرياضية في القرن الثامن قبل الميلاد وهي من مظاهر الحضارة الإغريقية و التي تداخلت مع الميثولوجيا الإغريقية

حيث مارس الإغريق القدماء رياضة العدو ورماية الرمح و رمي القرص و القفز على الحواجز، اتسمت تلك الرياضات بطابعها الديني ، وعليه تأسست الألعاب الأولمبية في جبل الأولمبي لتمجيد الإله زوس و هي الألعاب التي مازالت متواصلة حتى عصرنا الراهن (wikii/Spor, 2022)

أما الرياضة في العهد الروماني فقد تعاظم الاهتمام بها نظرا للطابع العسكري المُحارب للدولة والمجتمع، كما أُسست تقاليد رياضية جديدة متنوعة كما تبيُنها الآثار الأركولجية للملاعب الرياضة التي مازالت آثارها بادية إلى اليوم ، تجدر الإشارة أن تلك الألعاب اتسمت بخاصيتها العنيفة، حتى و إن وضعت قوانين صارمة للتقليل من تعرض المتنافسين للقتل فقد كان الضرب المؤدي إلى كسر أنف الخصم مسموحا به وهو ساقط على الأرض (Rolland, 2017,p5)

كانت التخصصات الرياضية كالمصارعة و الملاكمة و السباق بالعربات ممارسة من قبل عبيد او أشباه العبيد.

اما الرياضة في العصور الوسطى فقد كانت ممنوعة على رجال الدين بما أن كل لحظة تُقضى في غير عبادة الرب هي مضيعة للوقت كما يحث على ذلك رجال الكنيسة و قد تميزت عند عامة الشعب بسيطرة تخصص الفروسية ،و كان من الواجب على الفارس أن يتوفر على البنية القوية ويجمع بين المبارزة و بين ركوب الحصان و رمي الرمح و الصيد و السباحة و هي رياضات تداخلت مع مهارات يحتاجها المحاربون خلال دخولهم في معارك، حتى و أن مارس عامة الشعب رياضة المبارزة بالرماح و السيوف إلا أنها كانت فرصة لاختيار أحسن المحاربين و أشجعهم

أما في العصر الحديث، فقد أصبحت الرياضة ظاهرة اجتماعية بعد أن اكتُشفت أنواع أخرى من الرياضات و بعضها ألآخر أدخل عليه تطورات و تعديلات لا يمكن الإلمام بقوانينها جميعا لغير المختص ،كما تميزت بالممارسة الاحترافية بعد أن ظلت هواية فقط عبر تاريخها الطويل، وأبرز ما يتميز به العصر الحديث هو دخول النساء مجال الممارسة في أغلب التخصصات الرياضية التي كانت حكرا في الماضي على الرجال فقط، ووكذلك توفر منشآت رياضية عملاقة، وافتتان أغلب الشرائح الاجتماعية بمتابعة نتائجها والانفعال بالمباريات الحاسمة، و تخصيص الحكومات ميزانيات خيالية لتنظيم دورات متتابعة، كما هي الألعاب الأولمبية التي أعيد إحيائها في نهاية القرن التاسع عشر والتي اعتبرت أهم ظاهرة رياضية اجتماعية ميزت العصر الحديث، فبعد أن كان تنظيمها

قديما يهدف– إلى جانب التنافس الرياضي إلى إيقاف الحروب و التفاوض أراد لها منظموها في العصر الحديث أن تكون "حركة تساهم في بناء عالم سلمي و أفضل عبر تربية الشبان بواسطة ممارسة الرياضة الخالية من التمييز مهما كان شكله ، وفي روح أولمبية تفرض التفاهم المتبادل وروح الصداقة و التضامن و اللعب النظيف" (https://olympics.com, 2022) ، و قد كانت الألعاب الأولمبية من اهم الألعاب التي برزت مجددا في القرن التاسع عشر إلى جانب مباريات كأس العالم في ميدان كرة القدم و التي سوف ستكتسح اهتماما منقطع النظير– من طرف الدول والشعوب كأهم حدث رياضي تأسس في 1930– لما يثيره من اهتمام إعلامي وحكومي وجماهيري كبير حيث بلغ عدد متابعيها – في –2018 ثلاثة مليار و خمس مائة و اثنان وسبعون مليون (FIFAssociation, 2018)،و إذا كانت الرياضة قد عرفت كل هذ الانقلاب الحاسم من حيث تنظيمها و متابعتها، و الاهتمام بمجرياتها فما دلائل كل هذا و تداعياته ؟

لقد اصبح موضوع الرياضة يشغل بال دارسين من مختلف التخصصات ويُثير كثيرا من الأسئلة كسؤال أهميتها و دلالات الشغف بها في العصر الراهن و ضرورة كلفتها الاقتصادية، وبالأخص سؤال استعمالاتها في مجال خارجة عن إطارها كالسياسة تحديدا

لا شك أن أغلب البشر مولعون بالرياضة و يضعون لها مكانة مميزة ضمن اهتماماتهم الشخصية نظراً لصورتها المثالية التي رسَّخت في الأذهان أن العقل السليم في الجسم السليم ونظرا لما تحققه من مزايا مفيدة على المستوى الصحي و النفسي والاجتماعي والسياسي ،فهي على المستوى الجسدي تعزز قدرات الفرد الجسدية وعلى المستوى النفسي يجد فيها الممارس أو المتابع لها متعة بصرية و شعور بالليقة الفنية الجسدية، أما على المستوى الاجتماعي فهي توقظ مشاعر الانتماء الاجتماعي والتضامن ،و على المستوى السياسي تعزز الأنا الوطني ،إلا أنها على خلاف ذلك تتضمن مزايا ضارة على نفس المستويات أي الصحية و النفسية و الاجتماعية والسياسية كذلك، فالمبالغة في ممارسة التمارين الرياضية وبشكل غير سليم غالبا ما يؤدي إلى نتائج مرضية خطيرة كأمراض الروماتزم و أمراض القلب، كما لوحظ على رياضيين كبار –مثلا– محمد علي كلاي الذي أُصيب بمرض الباركنسون– مرض الارتعاش– مباشرة بعد اعتزاله فن الملاكمة.وعلى

المستوى النفسي تتجلى ماضرها لدى المتابعين لها من خلالها ظواهر الاضطراب النفسية كالسادية كإرادة لإذلال الخصم و النرجسية و الهستيريا أما على المستوى الاجتماعي فهي غالبا ما تتسبب في خلق توترات و مواجهات بين أبناء البلد الواحد بسبب انتصار بسيط لفريق على حساب آخر ينتميان إلى نفس الوطن، أما على المستوى السياسي فهي تساهم في تغييب الوعى بالواقع الاجتماعي و الاقتصادي.

و في المقابل من ذلك لا يمكن نكران الدور السلمي الذي تساهم به الألعاب الرياضية أحيانا في التقريب بين الشعوب و إثارة أجواء السعادة و الحد من نزعة التعصب و تهذيب جماح مشاعر العدوان بينها ، ذلك أن من تداعيات التربية الرياضية وممارستها هو غرس جملة قيم إنسانية كفكرة الخضوع للقانون واحترامه أي قانون اللعب و فكرة الروح الرياضية الشهيرة ،و هي الفكرة التي تحيل إلى التشبع بثقافة "تقبل الخسارة" و الانحناء أمام الخصم كنوع من الاعتراف له بالتفوق ،كما تحيل فكرة الروح الرياضية إلى فكرة التواصل و التسامح و الاحترام بين المتنافسين، ومن المجال الرياضي انتقلت فكرة الروح الرياضية إلى المجالات الأخرى للتدليل على صفة أخلاقية نبيلة، يجب أن يتمتع بها كل إنسان قبل أن يكون رياضيا كالالتزام بتقبل قواعد المناقشة والإقرار بإمكانية الخطأ و تقبل مراجعة الرأي وكذلك الانضباط القانوني خلال إجراء أي عملية تنا فسية، إلا أن الرياضة في بعدها الاجتماعي كثيرا ما تحتوي على سلبيات منها مشاهد التعصب الشديد كما تُبديه جماهير مهوسة بمتابعة فرق رياضية غربية – على الرغم من تباعدها الاجتماعي عنها – على حساب مشاكلها الآنية التي تُنغص حياتها اليومية كالبطالة و تردي الخدمات الإدارية والأمنية والصحية، من هنا تُعد هذه المساوئ من اختلاق رجال السياسة لتغيب و عي الشعوب عن قضاياها.

ما يجب التأكيد عليه مرة أخرى فيما يتعلق بطبيعة الرياضة أنها لم تعد ذلك النشاط الذي يُمارس من أجل اللعب و الترفيه فقط ،و لكنها أصبحت ظاهرة اجتماعية تترابط مع المنظومة السياسية والاقتصادية، و الرغبة في تحقيق التفوق و لو باستعمال و سائل غير أخلاقية وغير قانونية كرشوة الحكام و استهلاك المنشطات لزيادة الفاعلية الرياضية ، و اللجوء إلى العنف لتحقيق النصر

لقد دخلت في قاموسنا اللغوي مفاهيم و مصطلحات رياضية فرضت نفسها كموضوع يهم أغلب الفئات الاجتماعية و يطبع المجادلات اليومية حول إجا بياتها الصحية و ارقامها و نتائجها الميدانية، ومن المعروف أن الرياضة أصبحت تخصصا علميا يدرس في أعلى المدارس والمعاهد على المستوى النظري و على المستوى العملي ، وتقام من أجله ملتقيات و مؤتمرات وطنية وعالمية كما اصبحت مجالا مستقلا يقوم على تنظيم عصري معقد ، و استحقت أن تكون موضوعا للدراسة الفلسفية و الاجتماعية و من حيث دلالتها الأخلاقية و النفسية و الثقافية.

و هي كنشاط يُمارس على المستوى الفردي و على المستوى الجماعي، يسعى ممارسوه إلى المتعة ودفع مشاعر التوتر و القلق.

من خصائص النشاط الرياضي أيضا ، على المستوى النفسي تفعيل روح التنافس لدى الفرد والتحدي و تنمية المهارات و التعبير عن القدرة على تجاوز الصعاب ، أما على المستوى الجسدي فلا يكف الأطباء عن تحفيز الناس لممارسة الرياضة كوسيلة لدرء الأمراض أو معالجتها أحيانا أو التقليل من مضاعفتها كداء السكري و الضغط الدموي و أمراض الروماتيزم هذا على المستوى الفردي ،أما على المستوى الجماعي فهي تعبير عن إرادة جماعة أو أُمة ، والرياضة اشكال و أنواع مارسها الإنسان منذ القدم نظمها عبر قوانين ما زالت في تغير مستمر و ظهر فيها ابطال يمثلون بلدانهم، تزايدت ممارستها و الاهتمام بها في القرن العشرين و الواحد و العشرين بشكل كبير ،وأصبح لها مؤسسات مُعقدة تسيرها و تقام لها المنشئات العملاقة، كملعب ماراكانا في البرازيل; وملعب الأول ماي في كرويا الجنوبية الذي يتسع لمائة و خمسون متفرج ,(wiki,Liste, 2022) تنفعل الجماهير من أجلها و تهتم بها بعد أن أصبحت من ضرورات الحياة و بعد ان قلت الحركة لدى البشر بفضل توفر وسائل الراحة و الخدمات.

يتفق أغلب الدارسين للظاهرة الرياضية أنه كما تنافست الدول حول برامج التسليح و الإنتاج الاقتصادي ،تنافست أيضا على نتائج الرياضة بما أنها دلالة عن المستوى الحضاري للأمة و حيوية شعبها وارتباطها بالنجاح السياسي للنظام القائم.

3-التوظيف الإيديولوجي و السياسي للرياضة

ولأن المواعيد الرياضية غالبا ما تكون محط أنظار الجماهير ، فأن أغلب الأنظمة السياسية تعمل على استغلالها لتلميع صورتها وتثمين خياراتها الإيديولوجية ،إذ عرف التاريخ شواهد تداخل فيها الرياضي مع السياسي بشكل بارز، فأحداث كأس العالم مثلا التي جرت في الأرجنتين في سنة 1978 مازالت مثار جدالات سياسية و رياضية في تاريخ الرياضة و تاريخ كرة القدم بالأخص، كما تجلى ذلك في محاولة استغلال معارضين سياسيين للنظام الحدث العالمي لتمرير رسائلهم الإيديولوجية، عبر مطالبتهم دول العالم مقاطعة الدورة الدولية وكما تجلى-من جهة أخرى- في مناورات النظام مع منظمة الفيفا ،ليحصل على التتويج كبطل للعالم و قد كان البلد يعرف في عز الحرب الباردة، جوا من القمع و الرعب ضد كل الحريات السياسية و المدنية الأساسية.

انقسمت المواقف بين رافضين و بين مطالبين بالمقاطعة ، موقف يعتقد بضرورة تحييد النشاط الرياضي عن أي تدخل سياسي ،وموقف يعتقد بمشروعية استغلال الحدث الرياضي و توظيفه من أجل الدفاع عن قضايا سياسية عادلة ، فقد صرح المدرب الفرنسي ميشال إلدالغو Michel Hidalgo لكي يبرر مشاركة بلده فرنسا في دورة الأرجنتين العالمية :"نحن لا نذهب للأرجنتين لمقابلة سلطة سياسية و لكن لمقابلة شعب...نحن لسنا من ممتهني السياسة" (Entretien le Monde , 1978) في حين كتب كي هرميي في جردة ليمانيتي الفرنسية: " إن الشعب الأرجنتيني وهو في كفاحه يطالبنا أن نمده بالدعم السياسي في كفاحه الذي يخوضه ضد المؤامرة، الموجودة داخل الجيش و الحكومة ، التي تؤدي به إلى الفاشية، وهو يخشى الانعزال والنسيان، و في هذه الظروف فإن اقتراح مقاطعة المونديال يحيل إلى اللامسؤلية أو المناورة " (Hermier, 1978)،حتى وإن اتفقت أطراف على أن المشاركة في التظاهرة الرياضية العالمية، هو اعتراف بشرعية نظام سياسي فاشي يقمع شعبه و لذلك يجب مقاطعته، بينما رد فريق آخر أن المقاطعة ستزيد من عزلة الشعب و لذلك يبقى الحضور و المشاركة هما الوسيلة المثلى لدعم الشعب الأرجنتيني في كفاحه، و كلا الموقفين سياسي بينما دعا فريق أخر إلى المشاركة بدون أي رهان سياسي، حتى و أن اعتُبر الموقف الأخير هو موقف سياسي مبطن لا يُصرح مباشرة بمقاصده

التاريخ ملئ بالمشاهد التي تم فيها توظيف الأحداث الرياضية من أجل أهداف سياسية، لعل بدايتها كانت مع تأسيس الألعاب الأولمبياد في اليونان قديما حيث كانت تُستغل من أجل ابرام صفقات سياسية وتجارية بين المدن المتحاربة، ما يعنينا هنا هو إبراز بعض الأمثلة في العصر الحديث على الاستغلال السياسي للنتائج الرياضية ، كما فعل النظام الشيوعي في روسيا وكوريا الشمالية وكذلك النظام النازي، حيث كان يفترض أن قطاع الرياضة ينتمي إلى المجال المدني إلا أن النظام النازي ألحق كل الجمعيات الرياضية بالحزب الاشتراكي الديمقراطي الحاكم.

وكان النظام النازي أيضا يُحوِل كل انتصارات رياضييه إلى حجة للبرهنة على نجاح وفعالية تنظيمه السياسي من جهة ، ومن جهة أخرى لتأكيد تفوق الجنس الآري على بقية الشعوب وعندما يخسر يجد كل المبررات لخسارتهم خارج المجال الرياضي ،(Havemann, 2017,pp, 61,74) وقد أراد النظامان النازي والفاشي خلال الألعاب الأولمبية في 1936 استعراض قدراتهما التنظيمية والتباهي بمرافقهما الرياضية لنيل إعجاب العالم وتأكيد صلاحية تصوراتهما في المجال السياسي.

كما لا يخفى أن النظام السياسي في البلدان ذات التوجه الشيوعي عمل على نشر و تثبيت النظرية الشيوعية عبر بقية بلدان العالم ،و خاصة عنما يحقق رياضيون نجاحا أو تفوقا على خصومهم من الدول الرأسمالية، وفي مقابل ذلك وبعد انهيار الأنظمة الشيوعية استغلت الأنظمة الرأسمالية النتائج الرياضية للتأكيد على نجاعة نظامها و تهافت النظام الشيوعي القائم على السيطرة الإدارية والبرمجة المسبقة

ومن الشواهد البارزة في تاريخ الرياضة أيضا ،كدلائل على تأثر الرجل السياسي ، بإيديولوجية نظامه وبالجو العام البعيد عن الروح الرياضية ،مشهد الرئيس روزفلت وهو يمتنع عن استقبال عداء امريكي أسود البشرة اسمه جيسي اوانس حصل على المرتبة ألأولى في رياضة العدو في الأولمبياد لسنة 1934، بعد ما كان نفس العداء قد تعرض لموقف عنصري قام به هتلر ،عندما رفض مصافحة العداء المتفوق و هو يقف على المنصة لأنه هزم نظرائه الألمان

ومن الشواهد التاريخية أيضا الدالة على تأثر المنافسة الرياضية بالأحداث السياسية أحداث عنف جرت بين فريقي هنغاريا والاتحاد السوفياتي سابقا داخل مسبح كرة الماء وذلك بعد غزو بودابست من طرف هذا الأخير.

كل ذلك يدل على أن فكرة الرياضة من أجل الرياضة هي فكرة مغالطة بما انه لا نكاد نعثر تاريخيا على تظاهرات رياضية ذات انتشار جماهيري واسع لم يستثمرها رجل السياسة ولم يُوظف فيها المال العام خدمة لأهداف سياسية.

4-الرياضة بين سياسة التواصل و سياسة التنافر

تساهم الرياضة من جهة أخرى في تعزيز قيم التعارف و التسامح بين مختلف الشعوب وفي حل الأزمات السياسية بين بلدين كما حدث في سبعينات القرن الماضي عندما التقى فريقي البينغ بونغ الصيني و الأمريكي في مقابلة شهيرة وانتهت المقابلة بزيارة الرئيس جيمي كارتر للصين ثم انفراج الأزمة التي كانت قائمة بين البلدين، و قد سميت الحادثة بدبلوماسية البينغ بونغ صرح بعدها الرئيس الأمريكي نيكسون: "بلعب البينغ بونغ، فإن بلدينا مسحا سوء تفاهمات الماضي" غير أن تدخل رجال السياسة في الرياضة يساهم أحيانا في زيادة التنافر حتى بين بلدين شقيقين كما حدث بين مصر والجزائر بعد مقابلة أم درمان، وهي المقابلة التي أراد النظام المصري استثمار نتائجها لصالحه، غير أن انهزام الفريق المصري أمام نظيره الجزائري كان أحد الأسباب التي عجلت برحيل نظام حسني مبارك وهو ما يؤكد تأثير المجال الرياضي على المجال السياسي.

يجد بعض الدارسين للظاهرة الاجتماعية أنهم يحتاجون إلى استثمار الظاهرة الرياضية في التحليل وتفسير خلفيات دوافع الرغبة العارمة للنجاح و التفوق في المواعيد التنافسية ، مع ما يرافق ذلك من جهود وطنية لتوفير ظروف النجاح في المسابقات ثم الاهتمام الإعلامي المبالغ بالنتائج – وخاصة في كرة القدم– فهل هي تعبير عن الطبيعة العدوانية التي تسكن كل الشعوب؟ كأن الانتصار في المسابقة أو المقابلة الرياضية هو تنفيس عن الرغبة في السيطرة على الشعوب المختلفة، أم هي تعبير عن تقاليد الفروسية المتأصلة في المجتمعات القبلية كتقاليد موروثة منذ القديم ؟ أم هي استثمار لكل ذلك ثم توظيف للظاهرة الرياضية و السعى إلى إلهاء الشعوب عن

الانشغال بمشاكلها الحقيقية، وفي العالم الثالث بشكل اكثر جذرية ، فيُعمل على تغييب الحس النقدي لديها إزاء حقوقها السياسية والاجتماعية بغرض ممارسة سياسة الهروب إلى الأمام من طرف النظام القائم، و تخفيف توترات وستر تناقضات المجتمع ،غير أن بعض الوقائع والتجارب التاريخية تفند هذا الطرح فقد تظاهر الشعب الفرنسي بشكل عنيف–السترات الصفراء– ضد حكومته رغم نجاح فريقه الوطني في كأس العالم لسنة ، 2018 مطالبا بتحسين ظروف عيشه، ورغم تتويج الفريق الوطني الجزائري بطلا لكأس أفريقيا للأمم في 2019 فقد خرج الشعب الجزائري في مظاهرات عارمة سميت بالحراك الوطني للتعبير عن سخطه عن سياسية الحكومة آنذاك و من المفارقة أن كثيرا من أهازيج الجمهور الرياضي تُرسل من أعماق المدرجات الملاعب كرسائل سياسية منتقدة و معارضة لتوجهات النظام.

الجدير بالذكر هو أنه ليست كل الرياضات على مستوى قدم واحد من الاهتمام الحكومي والجماهيري، ذلك أن بعض التخصصات الرياضية الأخرى لا تطرح غالبا أية مشكلة بالمقارنة إلى ما تطرحه لعبة كرة القدم من إشكاليات ذات التداعيات السياسية والاجتماعية فهي تعتبر اللعبة الأكثر شعبية في أغلب بلدان العالم والأكثر إثارة للجماهير بالقياس إلى بقية التخصصات الرياضية الأخرى التي مازالت نخبوية الممارسة والمتابعة كالسباحة و تسلق الجبال أو المبارزة بالسيف أو سباق القوارب في الوديان، لذلك تم التركيز في هذ البحث خاصة على كرة القدم وهي اللعبة التي سميت بملكة الرياضة أو ملكة الألعاب ومن شدة ترابطها بعالم المال اصبح يطلق عليها: فوت بزنس foot business كدلالة سلبية على توجهها الجديد رغم ان أغلب القطاعات توجهت نحو عالم المال و البزنس كقطاع السينما و قطاع الموسيقى (Thiériez, 2104).

5–هدر المال العام:

يحتاج الإنجاز والتسيير الرياضي و خاصة في لعبة الكرة القدم إلى مصاريف باهظة، هو ما يرهق كاهل الدول المتخلفة عندما تريد تقليد الدول الصناعية، ولكنها في العالم المتقدم تعود بالربح الوفير على المؤسسات العملاقة التي تستغل صور النجوم في الدعاية الإعلامية للشركات الوطنية والعالمية، حيث ستحقق الطبعة القادمة لكأس العالم التي ستحتضرها قطر مبالغ خيالية بفضل بيع التذاكر وحقوق البث التلفزيوني والدعاية الإعلامية، صحيح أن الرياضة في العالم المتقدم مؤسسة على قواعد تجارية بحتة ومنتظمة على شكل مؤسسات اقتصادية تجعل الخزينة العمومية تنتفع بالضرائب التي تُدفع إليها ،فتساهم في دعم عجلة الإنتاج عبر تنشيط شبكة الاقتصاد الذي ينعكس نموه وأثاره الإيجابية على المستوى الاجتماعي، إلا أنها في بلدان العالم المتخلف تستهلك من الخزينة العمومية أكثر مما تدره عليها، و كملاحظة أولية يجب التذكير إلى أن هذه البلدان غير قادرة على تشكيل فرقها الوطنية من "صنع محلي" إن جاز التعبير إذ غالبا ما تلجأ إلى استدعاء نجوم يلعبون ضمن الأندية الأوربية بعد ما تكونوا في صفوفها منذ نعومة أظافرهم، فلا يكتشفوا بلدانهم الأصلية إلا وهي تستدعيهم لكي يلعبوا ضمن صفوف فِرقها الوطنية، إضافة إلى تعاقد أغلب بلدان العالم الثالث مع مدربين من جنسيات أجنبية ليتقاضوا مرتبات خيالية مقابل خدمات لا أثر لها على المستوى الاجتماعي مُطلقا، إلا ما يُحقق من نتائج رياضية هزيلة جدا، تقوم الآلة الإعلامية الرسمة بتضخيمها حينا وتبرير خيباتها أحيانا أخرى.

حتى وإن كان واقع الرياضة في البلدان المتقدمة و خاصة في جانبه الكروي يعرف نجاحا في الأداء و تفوقا على المستوى العالمي، وحتى وإن كان مثالا أعلى تسعى أغلب دول العالم الثالث الاحتذاء به، إلا أنه لم يسلم من سهام النقد، ورغم خضوعه لقوانين تجارية شفافة، فقد بدأت أصوات تتعالى حول جدوى ومشروعية استهلاكه لأموال باهضه.

نورد هنا مثالا بسيطا للاستشهاد به حول قيمة الأموال التي يتداولها سوق الرياضة ، فقد تم تحويل اللاعب الفرنسي في سنة 1917 كيليان مابي بمبلغ 180 مليون أورو،–من موناكو إلى باريس سان جرمان من طرف ثري خليجي كما تم شراء لاعب آخر بمبلغ 222 مليون أورو(نيمار البرازيلي (البرازيل نموذجا) بينما كان يمكن إنفاق جزء بسيط من هذه الأموال –على سبيل المثال لا الحصر – لبناء عشرات السدود لتوفير مياه صالحة لسقي مئات الهكتارات لحقول فلاحين

يقبعون تحت عتبة الفقر، أو بناء عشرات المستوصفات لتوفير خدمات صحية لمرضى مهملين في الطبيعة.

على سبيل المثال مرة أخرى، حول التضخم الخيالي لمصاريف الرياضة في قطاع كرة القدم، فقد بلغت سنة 2017 مصاريف خمسة أندية أوربية مبلغ 5.9 مليار أورو لاستقدام لاعبين دوليين من مختلف الأندية ، بينما لم تكن تتجاوز 1.5 مليار أورو في 2010.

ومن الأمثلة الصارخة على تأثر رياضة كرة القدم بعالم الصفقات و البزنس، هو شراء أندية أوربية من طرف اثرياء خلجيين، الظاهرة التي استفحلت بعد سنوات 90 من القرن الماضي، وهو ما لا يعود بأية فائدة على الأداء الرياضي و نتائجه في الحصيلة الوطنية للمشترين.

من معالم الرياضة الحديثة أنها قلبت موازين القيم فحولت اهتمام الشعوب بثقافتها المحلية و تراثها إلى الاهتمام بأدق تفاصيل حياة لا عبين يعيشون بذخا خياليا، فأصبحت معرفة أسماء الرياضيين كرونالدو او ميسي أكثر أهمية من رئيس الأرجنتين وكذلك من معرفة رؤساء الدول أو الكتاب لأنهم أكثر شهرة منهم، ولكن من جهة أخرى بعد أن كانت قوة الدول و المجتمعات تقاس بمدى امتلاكها للقوة الحربية أصبحت تقاس بمدى تفوق رياضييها و حصولهم على الميداليات خلال المنافسات الرياضية الدولية كما أصبحت الفرق الوطنية و نتائجها توحد الشعب أكثر مما توحده حوادث وطنية أخرى و أصبح للرياضيين إشعاعا ثقافيا أكثر مما للكتاب.

ومن معالم التغيرات الحاصلة في ميدان الرياضة في القرن الواحد و العشرين تميزها بالإنفاق الكبير، حيث أصبحت صناعة وسائل الرياضة تشكل قطاعا يتفانى السياسيون في تنشطيه وإنجاحه لأنه مدرّ للأرباح التجارية و دافع لميدان الاقتصاد المحلي كالمؤسسات المتخصصة في ميدان الرياضية.

كما استعملت الرياضة لمراقبة المجتمعات من حيث توجهاتها السياسية و رغباتها التجارية عبر الدعاية والتشهير لسلع معينة دون أخرى، والتشجيع على نمط معين من الاستهلاك، و توجيه سلوك المشتري حسب أذواق فوائد تجارية لشركات معينة.

وإذا كانت الرياضة قد استغلت من طرف أنظمة قمعية ذات توجه عنصري فالأولى للأنظمة السياسية الممثلة لشعوبها استغلال المناسبات الرياضية للتعبير عن شخصيتها وإعطاء صورة عن البلد الناجح اقتصاديا اجتماعيا و سياسيا فقطر الدولة التي تبلغ مساحتها 11 571 كلم2 لم تفرض نفسها بواسطة تصديرها لأطنان من البترول و لكن بفضل شراء اثر يائها لفريق سان جرمان الفرنسي واستطاعت أن تكسب زخما إعلاميا ينافس كبريات الدول وتحصل في مقابل ذلك على صفقات تجارية تدر مدخولا إضافيا لخزينتها العمومية.

6-خاتمة

بعد هذا العرض الذي بين المواقف التاريخية التي أكدت جدلية الموقف السياسي مع الموقف الرياضي نجد أنه يتنازع مفهوم الرياضة أطروحتان واحدة تفرض أخذ مسافة إزاء كل غرض سياسي وهي تتمثل في أطروحة الرياضة من أجل الرياضة ومنع استثمار نتائجها لأي هدف خارج عن إطارها، و أطروحة تنظر للرياضة التي تستعمل لأغراض سياسية أو إيديولوجية، ولكنها فكرة حمالة أوجه أيضا فقد يوظف الحدث الرياضي لأغراض سياسية غير نبيلة، ذات أهداف عنصرية كما حدث خلال سنوات صعود التيارات النازية و الفاشية في أوربا حيث أرادت هذه التيارات التأكيد على تفوق الجنس الآري على بقية الشعوب الأخرى، وكما كان الروس السوفييت يحاولون التأكيد عليه للبرهنة على تفوق النظام الشيوعي على غيره من النظم، وقد يوظف الحدث الرياضي للدفاع عن قضايا إنسانية نبيلة كما فعل الملاكم الأميركي بطل العالم محمد على كلاي عندما تجند بشجاعة لانتقاد تصرفات مسؤولين أمريكيين إزاء فئة السود، و عندما رفض التجنيد الإجباري في فيتنام وفضل دخول السجن وقال كلمته المشهورة "لماذا أحارب فيتناميا لم يعاملني كمواطن من الدرجة الثانية".

وكما تميزت الأنظمة الشيوعية باستغلالها لنتائج الرياضة لتأكيد صلاحية نظريتها وتوجهها وشرعية قراراتها عملت الأنظمة الرأسمالية على استغلال صور النجوم و كبار اللاعبين للترويج لصورة منتوجها و زيادة أرباحها.

وبالتالي لا يمكن أن يخلو الرهان الرياضي من الرهان السياسي فهما متداخلان يكمل أحدهما الآخر ،فالأول يُفترض أن يكون عاملا من عوامل تحقيق الفرص لكل إنسان ،كما تحث على ذلك مبادئ الإعلان العالمي لحقوق الإنسان حيث استطاع رياضيون من ذوي البشرة السوداء في أمريكا وأوربا من قلب صور نمطية عن الأنسان الأبيض، و بالتالي تغيير حقوق سياسية في بلدانهم و في العالم، وتوحيد لقوى اجتماعية تمكنت من فرض شخصيتها سياسيا و تميزها عن الآخر بقدرتها على التحدي و فرض ذاتها في المنافسة، أما الرهان السياسي فهو يؤطر الرهان الرياضي ويحدد مواعيده ونظامه و يوجه غايته، وعلى السياسي أن لا يكتفي بالروح الوطنية في المجالات الرياضية فقط ولكن يوسعها إلى مجالات اجتماعية أخرى كالصحة والخدمات الاجتماعية والتعليم والأمن.

قائمة المراجع:

https://www.fifa.com/fr/tournaments/mens/worldcup/2018russia/media-realeases. (F. I. Association, Éd.) Consulté le juin 01, 2022, .

CAIRN.INF. MATIERE A REFLEXION. (2017). Consulté le juin 12, 2022, sur www.cairn.info: www.cairn.info/revue-guerres-mondiales-et-conflits-cotenemporains-2017-4-page-61.htm

Claud Dubois. (1965). larousse. (larousse, Éd.) hachette. Consulté le mai 13, 2022.

Decker, W. (1993). Le sport dans la decoration murale des tombes privés. persée, 443.462. Consulté le mai 28, 2022

Entretien avec michel hidalgo. (1978, mai 24). LE Monde..

Havemann, N. (2017, avril). CAIN.INF. matière a reflextion. (puf, Éd.) Consulté le juin 12, 2022, sur guerres-mondiales-et-conflits-contemporains.-

Hermier, G. (1978, Janvier 12). , , 12 janvier 1978. L'Humanité. Consulté le avril 26, 2022

https://olympics.com. (2022, avril 21). Récupéré sur au-dela des jeux: https://olympics.com/cio/au-dela-des-jeux..

. Liste_des_plus_grands_stades_du_monde. Consulté le avril 27, 2022, sur https://fr.wikipedia.org/wiki/Liste_des_plus_grands_stades_du_monde

rolands, y. (2017). Le sport à l'époque romaine:. Consulté le 04 15, 2022, sur https://www.revistas.usp.br/revmae/citationst

Rolland, Y. (2017). revistas. Consulté le avril 25, 2022, sur https://www.revistas.usp.br/revmae/article

Rouquié, A. (, 1971 21 année). "honduras-El Salvador. La guerre de cent heures : un cas de désintégration régionale" . Revue française de science politique(no 6,), pp. pp. 1290-1316. Consulté le mai 13, 2022

Thiériez, F. (2104, fevrier). https://www.cairn.info/revue-internationale-et-strategique-2014-2-page-97.htm. Consulté le juin 15, 2022, sur CAIRN INF MATIèRE à Réflexion.

wikipedia.org/wiki/Sport_en_Grèce_antique. (2022, 4 15).